

مدينة لبدة الكبرى التأسيس والتسمية آراء وشواهد

إلهام الهادي الوحيشي الفقي

طالبة دكتوراه، قسم التاريخ – كلية البنات للآداب والعلوم والتربية – جامعة عين شمس.

تعد مدينة لبة الكبرى من المدن الأثرية المهمة بليبيا، ويظهر ذلك من خلال أثارها الباقية، وأهمية موقعها على ساحل البحر الأبيض المتوسط. وقد جاء اختيار الموضوع كمحاولة للتعرف على هذه المدينة الأثرية التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ المنطقة؛ ولاسيما خلال العصر الروماني، وكشف جانباً من تاريخها، ولذلك فقد حاولت أن أجمع كل ما أمكنني من إشارات وردت عنها في الكتب والدراسات والنقوش، والقيام بتنسيقها وإبداء الرأي عليها كلما أمكن ذلك. ولذا فإن الهدف الرئيس لهذه الورقة هو وضع الإطار النظري العام لموضوع تأسيس مدينة لبة الكبرى وتسميتها، ويتناول محاولة للإجابة على عدة تساؤلات حول: موقع المدينة وما هي أسباب اختياره؟ ومن هم المؤسسون لها؟ ومتى تم تأسيسها؟ وما هي الأسماء العديدة للمدينة؟ والتي تنوعت في أشكالها ورسماها، وتوحدت في معناها، ومن ثم إعطاء فكرة مختصرة عن التطور التاريخي للمدينة؛ ولتسهيل الدراسة والوصول إلى النتائج المرجوة فقد رأت الباحثة تقسيم الموضوع إلى ثلاث عناصر أساسية وخاتمة، تناول **العنصر الأول**: موقع وتأسيس المدينة، فيما تناول **العنصر الثاني**: تسمية المدينة، واختص **العنصر الثالث بتناول**: التطور التاريخي للمدينة، وُختم البحث بخاتمة اشتملت في نهايتها على بعض التوصيات.

أولاً: موقع وتأسيس المدينة:

(1) - الموقع:

تقع مدينة لبة الكبرى (Leptis Magna) عند الضفة الغربية لمصب وادي لبة (الشكل 01)، إلى الشرق من العاصمة الليبية طرابلس بحوالي (123 كم) (الشكل 02)، وقد لعب هذا الموقع المهم للمدينة على البحر الأبيض المتوسط دوراً كبيراً في التواصل مع الحضارات التي ازدهرت حول هذا البحر، مما أثر تأثيراً مباشراً على المدينة في مختلف النواحي، حتى أضحت واحدة من أهم المدن وأبرزها ببلاد المغرب القديم في العصر الروماني. ولقد تأسست المدينة على يد الفينيقيين (Phoenician) في بادئ الأمر لتكون مرفأً يلجئون إليه وقت الحاجة أثناء رحلاتهم التجارية النشطة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، حيث كانت المدن الفينيقية في الأساس محطات تجارية ساحلية قبل أن تصبح من أهم المدن على الشاطئ الغربي للبحر الأبيض المتوسط؛ حيث لعبت تلك المحطات دور الوطن البديل الذي هاجرت إليه موجات من الفينيقيين فيما بعد.

لم يكن اختيار الفينيقيون لموقع مدينة لبة الكبرى بمحض الصدفة أو عشوائياً، بل أنه توفر على عدة شروط كانوا كعادتهم يضعونها في حساباتهم عند اختيارهم لأي موقع، وقد حصر العالم الفرنسي بيار سانتاس (P. Cintas) من خلال عمله في البحث عن المدن الفينيقية في المغرب القديم هذه الشروط في (0):

1 - أن يتوفر الموقع على منبع للمياه العذبة، ليكون صالحاً للاستقرار فيه كمحطة على الطرق التجارية. وهو ما امتاز به موقع المدينة على الطريق التجارية الساحلية الرابطة بين المشرق والمغرب، وقربه من طريق القوافل التجارية الصحراوية المتجهة إلى دواخل الصحراء جنوباً، ما أهله لأن يكون محطة تجارية هامة لهذه القوافل (0)؛ بالإضافة إلى كونه موقعاً محاطاً بمنطقة زراعية مهمة، تتوفر على المياه العذبة والموارد الزراعية؛ فضلاً عن وجود بعض الأودية الهامة التي تصب في البحر (0).

- 2 – أن يتحقق الموقع على مرفأ محمي، ويكون شاطئه يساعد على رُسو السفن. وهو ما تميز به موقع بناء المدينة عند مصب وادي لبدة، الذي كون عند ساحل البحر مصباً واسعاً متقوساً على شكل خليج، تتبعه سلسلة من الجزر الصخرية على حافتي المصب كأنها رصيف طبيعي لحماية المصب من هيجان البحر، مشكلاً بذلك بقعة صالحة لإنشاء مرفأ لرُسو السفن يمكن تحويله إلى ميناء تجاري تنشط فيه حركة التجارة).
- 3 – أن تكون المسافة بين المحطات محددة؛ لأن سفنهم القديمة تُبحر نهاراً وتتوقف بالليل، وعليه فإن المسافة بين محطة رُسو وأخرى تعادل مسيرة نهار واحد أي حوالي (40 ميلاً).
- 4 – وجود مرتفع صخري لإقامة المقابر المحفورة في الصخر .

(2) – تأسيس المدينة:

اختلفت الآراء حول مؤسسي المدينة من الفينيقيين؛ حيث يذكر: سالوستيوس (Sallustius): أنه أسسها مهاجرون من مدينة صيدا، خرجوا من بلادهم نتيجة النزاعات الداخلية)، أما بلينيوس (Pliny's) فيذكر أنها تأسست على أيدي مهاجرين من صور)، وإلى هذا الرأي ذهب سيليوس ايتاليكوس (Silius Italicus). هذا الاختلاف قد يكون راجع إلى عدم تمييز المؤرخين اللاتين بين أهل المدينتين، فقد تأتي تسمية الصوريين للتعبير عن الفينيقيين، فيما قد تأتي تسمية الصيدونيين للتعبير عن الشعب الفينيقي أيضاً، والراجح أن تأسيس المدينة تم على أيدي بعض أهالي صور الذين قدموا إلى المنطقة، وهو ما يؤكد النقش (الإهدائي الذي عُثر عليه في مدينة صور والذي يحمل في طياته اسم لبدة الكبرى (Lepcis Magna)، ويشير إلى مكانة هذه المدينة لدى أهل صور؛ وهو ما يُعطي انطباعاً بالارتباط الروحي بين سكان المدينتين. هذا الارتباط يؤكد استرابون (في معرض حديثه عن علاقة المدن الليبية بمدينة صور بقوله: ((بالرغم من أن الشعراء تتغنى بصيدون، فإن الجاليات التي أرسلت إلى ليبيا وإيبيريا كانت تتغنى بشكل أكبر بمدينة صور)).

وبعيداً عن الجدل حول ما إذا كان مهاجرون من صور أو من صيدا هم من أسسوا مدينة لبدة الكبرى، فالثابت أن الفينيقيين هم من أسسوها .

وكما حدث الاختلاف حول من أسس لبدة، فإنه ليس ثمة اتفاق بين المؤرخين على تحديد دقيق لتاريخ تأسيس المدينة، وإن كان البعض يرجح أن تكون قد أُسست في القرن السابع قبل الميلاد)، فيما تذكر بعض المراجع الأخرى أنه تم تأسيسها حوالي القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد بادي الأمر كمحطة تجارية أو ميناء مؤقت لإرسال السفن وتبادل البضائع)، فقد دلت الحفريات التي أجرتها جامعة بنسلفانيا الأمريكية بالقرب من الميدان القديم بالمدينة عام (1961) على وجود فخار كورنثي يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، وهو ما يدل على وجود المدينة في هذه الفترة وربما قبلها؛ كما عُثر على مخلفات أثرية في المدينة ترجع إلى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد)، فإذا ما أخذنا في الاعتبار ما أشارت إليه الحفريات بوجود المخلفات الأثرية التي تعود للقرن السابع قبل الميلاد، فإنه يمكننا القول بأن تأسيس المدينة قد تم فعلاً في القرن السابع قبل الميلاد؛ إلا أن تطور المدينة ربما كان بطيئاً مقارنة بغيرها من المدن الفينيقية الأخرى، فلم تتحول إلى مركز للاستقرار الدائم إلا في القرن الخامس قبل الميلاد، حتى أن هيرودوتس (Herodotus) في معرض حديثه عن حملة القائد الإغريقي (دوريوس (Dorieus)، أورد أنه تمكن من إقامة

مستعمرة إغريقية بجوار وادي (كينيبس Cinyps)، القريب من لبدّة، وذكر أن القرطاجيين (O) تمكنوا من طرده، ولم يذكر مدينة لبدّة بأي صفة، ولم يُشر إلى أي دور لها في طرده، رغم أن الحادثة وقعت بالقرب منها، وهذا يعني أنه إذا لم يُهمل هيرودوتس ذكر المدينة سهواً أو قصداً – وهذا أمر مستبعد – فإنها ربما كانت ميناءً مؤقتاً ولم تصبح مستوطنة ذات شأن حتى ذلك الوقت. أو أنها كما أشار رومانيلي قد تكون مرت بحالة من الضعف، حتى أنها لم تتمكن من صد هذه الحملة (O)، ويبدو أن ما ذهب إليه رومانيلي هو الراجح؛ لأن القرطاجيين بعد هذه الحادثة أدركوا أهمية هذه المنطقة التجارية وخصوبة أراضيها فعملوا على دعم وجودهم فيها لمنع أي محاولة أخرى لعودة الإغريق إليها (O)، كما عملوا على إحياء مدينة لبدّة والنهوض بها، فشهدت أحوالها تحسناً كبيراً وتم بعثها من جديد، حتى أُطلق عليها اسم المدينة الجديدة (نيابوليس، Neápolis، (Nearpolis) O).

ثانياً/ تسمية مدينة لبدّة:

أطلق الفينيقيون على المدينة اسم لفقي (Lpqr) وهو الاسم البوني الذي وُجد منقوشاً على القطع النقدية الفينيقية التي عُثر عليها بالمدينة، والتي ترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد وأوائل القرن الأول الميلادي (O)، كما ورد بنفس النموذج في عدة نقائش بونية عُثر عليها بالمدينة وخارجها؛ فقد عُثر على نقيشة (O) بونية في مسرح لبدّة الكبرى يرجع تاريخها إلى عام (92 ق.م)، يظهر في السطر السابع منها اسم المدينة على صيغة لبقّي أو لفقي (الشكل 03)، وترجمته على النحو التالي: ((من كل من زعماء لبدّة وشعب لبدّة)) (O)، وفي نقيشة بونية أخرى عُثر عليها بالمدينة، تعود إلى القرن الأول الميلادي تقريباً، ورد اسم المدينة في السطر الثاني منها بنفس الصيغة أيضاً (الشكل 04)، وترجمته: ((... حملت دريدس المنحدر من حانو والمنتمي لشعب لبدّة)) (O).

على أنني لم أجد في المصادر النقشية أو الأدبية تفسيراً لأصل أو معنى الاسم؛ فيما اختلفت المراجع الحديثة حول معنى الاسم واشتقاقه، وهل هو من أصل لبيي (O)، أو فينيقي، وكل ما جاء فيها لا يعدو التخمين الذي لا يعتمد على مصادر أكيدة، ومن بين تلك الآراء: أن الاسم مشتق من اسم القبيلة الليبية القديمة الليبو (Libo) (O)؛ فيما ذهب رأي آخر إلى القول بأن الاسم من أصل فينيقي، وأنه مركب من العبارة الفينيقية (ليباده)، وهي مركبة من حرف الجر (لي) واسم (باده)، أي بادية، ليكون المعنى طرف البادية، أو مدينة البادية، أو المنطقة الخالية من العمران (O)؛ فيما يذهب رأي ثالث إلى أن التسمية تشير إلى أحد الآلهة الفينيقية القديمة بعد إدخال تغيير عليها (O)؛ ويُرجح البعض أن أصل التسمية لبيي، فالكلمة تعود إلى جذور سامية، حيث تحول الاسم من صورته الأولى لبتّي (Lpti) إلى رسمه الثاني لبكي أو لبقّي (Lebqy) الفينيقي، ولقد دعمت الاكتشافات الأثرية الرسم الفينيقي (Lpqr)، الذي اشتقت منه بعد ذلك التسمية اللاتينية (ليبتييس أو ليبكيس) Lepcis & Leptis (O)، فقد أظهرت العديد من النقوش (O) المكتشفة في المدينة أن النموذج المحلي الذي كان متداولاً في المنطقة حتى القرن الأول الميلادي هو لبكي تانا (Lepcitanæ) (الشكل 05)، وربما يعود انتشار هذا النموذج إلى استمرار قوة وتأثير اللغة البونية حتى تلك الفترة، فهو أقرب في صده إلى الأصل الفينيقي لاسم المدينة.

أما الكتاب اللاتين والإغريق (O) فإن أغلبهم نقلوا الاسم حرفياً على أنه ليبتيس (Leptis/Λέπτις)، فكانت هذه اللفظة هي الغالبة عندهم، لكن سالوستيوس كتبه بصيغة ليبيكس (Lepcis)؛ فيما أطلق سترابون على المدينة اسم نيابوليس (Νεάπολις) (O)، أي المدينة الجديدة، مع ملاحظة أن الاسم قد يرد في بعض الأحيان ناقصاً من حرف (S) في آخره فيكتب ليبيكي أو ليبتى (Lepti & Lepci) .

أما صفة الكبرى أو العظمى (ماجنا Magna) التي أُضيفت إلى الاسم، فقد كانت إضافتها للتمييز بينها وبين مدينة لبدّة الصغرى (لبتيمينوس Leptiminus) (O)، وربما أفاد بنفس المعنى كتعليل على تاريخها المميز، فقد كانت المدينة تتمتع بمكانة كبيرة لدى روما، ولعل من دلالات ذلك منح المدينة امتيازات شرفية كبلدية (Municipium) في عام (74-77م)، الأمر الذي أعطى حق الاقتراع لنبلاتها من خلال عضويتهم في مجلس المدينة، ثم ترقيتها إلى مستعمرة (كولونا coloniae) عام (109م)، وهو ما يعني منح جميع مواطنيها حق المواطنة الرومانية، في وقت كانت فيه غالبية المستعمرات الرومانية في أفريقيا تابعة لقادة عسكريين هم في ذلك الحين مواطنون رومان (O)، وقد ظهرت هذه الصفة (Lepcis Magna) (الشكل 06) في النقوش المحلية مرتبطة بالاسم لأول مرة في عهد الإمبراطور تراجان (Trajan) (O) الذي منحها لقب كولونا، وصار اسمها في كثير من الأحيان يُقرن باسمه:

«COLONIAE VLPIAE TRAIANAE FEDLIS LEPCIS MAGNA» (O).
ومنذ النصف الأخير من القرن الثاني الميلادي أصبح النمط الاعتيادي لاسم المدينة كولونا (مستعمرة) لبدّة الكبرى (Coloniae Lepcis Magna) (O)، كما في النقيشة التالية:

« GENIO COL[oniae] LEPCIS MAGNA LEPCITANI PVBLICE » (O)

وبعد الفتح الإسلامي للمنطقة أطلق على المدينة اسم لبدّة (Lebda) (O)، غير أننا لا ندري في أي فترة تم ذلك، وهو الاسم الذي لا زالت تحمله حتى اليوم .

ونظراً لغياب الدراسات العلمية والتنقيبات التي تضع حداً ثابتاً لحدود مدينة لبدّة خلال العصرين الفينيقي والروماني، لذلك كان من الصعوبة بمكان تحديد الحدود الإدارية لسلطات المدينة، على أنه يمكن الافتراض أن سلطاتها كانت تشمل الجزء الشرقي من إقليم المدن الثلاث (Tripolitania) (O)، والذي يضم المنطقة الممتدة من شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمالاً، حتى الأراضي المتاخمة لأطراف الصحراء (O) في الجنوب؛ أما من الغرب فإن حدود المدينة تنتهي عند الحدود مع مدينة أوبا (طرابلس) (O)، ومن الشرق عند مذبح الأخوين فيلاني بمنطقة الرأس العالي الواقعة إلى الشرق من مدينة سرت الليبية حالياً بحوالي (240كم)، وهو ما تؤيده الشواهد الأثرية والمقابر المتناثرة في هذه المنطقة.

وقد شهدت مدينة لبدّة الكبرى تطوراً كبيراً خلال العصر الروماني؛ خصوصاً في العهد السيفيري.

ثالثاً/ التطور التاريخي للمدينة:

من الملاحظ أن قرطاج لم تعمل على إلحاق مدينة لبة بها مباشرة، أو التدخل في شؤونها الداخلية، بل كان جل اهتمامها هو تحقيق أكبر قدر من الكسب المادي من خلال فرض الضرائب الباهظة عليها، مقابل احتفاظها بالاستقلال الذاتي، والتكفل بالدفاع عنها مادامت مستمرة في دفع تلك الضرائب، لذلك نرى القرطاجيون كما أشرنا، يسارعون إلى التدخل في عام (517ق.م) والقضاء على المستعمرة الإغريقية في وادي كنييس شرق لبة، كما عمدوا بعد هذه الحادثة إلى اتخاذ التدابير الكفيلة لمنع أية محاولة أخرى للاستيطان الإغريقي على هذه الشواطئ، والوقوف في وجه إغريق قوريني، وعدم السماح لهم بالتوسع غربي خليج سرت الكبير (O)، وهكذا فقد استمرت السلطات المحلية بمدينة لبة الكبرى تسك عملتها، وتحفظ بقوانينها ومؤسساتها الدستورية الخاصة، فقد كانت المدينة تخضع لحكام تنفيذيين يباشرون العمل القضائي والإداري، وإلى جانبهم تقوم هيئات أو مجالس سيادية ممثلة للسكان، فيما بقي سكان المناطق المجاورة للمدينة في القرى والوديان المجاورة يعتمدون على المؤسسات القبلية (O).

وفي أعقاب الحرب البونية الثانية (O) حاول الملك النوميدي مسينييسا (Massinissa) وبإصرار انتزاع السيطرة على إقليم المدن الثلاث وعلى رأسها مدينة لبة من قرطاج، مستغلاً الحرب بينها وبين روما، مستغلاً في ذلك تشجيع الرومان له بسبب موقف تلك المدن المؤيد لقرطاج، وبالفعل فقد أجبرت روما قرطاج على تسليم مدن الأمبوريا (O) لمسينييسا. هكذا صارت هذه المدن وعلى رأسها لبة الكبرى، منذ عام (161ق.م)، تدفع له الضريبة، وعندما تولى الملك ميسييسا (O) عام (149ق.م) الحكم في نوميديا، تخلى عن طموحات والده مسينييسا وانشغل بتنظيم شؤون مملكته، لذلك فقد بقيت تبعية مدينة لبة في عهده شكلية ومقصورة على دفع الجزية، غير أنها في الوقت نفسه دخلت في فلك النفوذ الاقتصادي الروماني، وصارت لها صلات وثيقة مع روما، حيث بدأ التجار الرومان يؤسسون لهم مراكز تجارية في لبة، ويتخذونها قاعدة لعملياتهم التجارية، قبل نهاية القرن الأول قبل الميلاد، وعلى كل فقد فضلت لبة التعامل مع روما عندما؛ مزقت ترتيبات الخلافة على حكم المملكة من قبل يوغرطة (Jugurtha) (O)، ودخلت روما في حرب طويلة مع النوميديين (112-105ق.م). وفي عام (111ق.م) أرسلت مدينة لبة إلى روما وفداً طالبة صداقتها وعقد التحالف معها؛ ورغم أنه كان هناك بعض الخلاف في المدنية على طلب الحماية الرومانية، إلا أن الأمر انتهى في عام (109ق.م) بطلب تدخل حامية رومانية، وتمت إجابة الطلب عام (108ق.م) بوصول تلك الحامية إلى المدينة؛ ورغم ذلك فإن مدينة لبة بقيت تحت سيادة نوميديا الاسمية، لأن الرومان لم يتمكنوا من الانتصار بشكل نهائي على النوميديين، وظلت المدينة تتمتع بنوع من الاستقلال الداخلي، ولعل ذلك عائد إلى بعدها عن قلب الأراضي النوميديية (O) (الشكل 07).

وبعد انتصاره في حربه ضد الملك يوبا الأول (O) عام (46ق.م)، قام يوليوس قيصر (Julius Caesar Gaius) (O) باستقطاع جزء كبيراً من مملكة نوميديا أطلق عليه اسم إفريقيا الجديدة (Nova Africa) للتمييز بينها وبين ولاية إفريقيا الرومانية التي أصبحت تُعرف بإفريقيا القديمة (Vetus Africa)، ويفصل بين الولايتين الخندق المعروف باسم الحفر الملكية (fossa regia)، وبهذا وقعت لبة تحت السيطرة الرومانية المباشرة عام (46ق.م)، وصارت جزءاً من ولاية أفريقيا الرومانية. وعندما تولى أغسطس (Augustus) (O) الحكم في روما، قام في عام (27ق.م) بتوحيد

ولايتي أفريقيا الرومانيتين في ولاية واحدة أطلق عليها أسم إفريقيا البروقنصلية (Africa Proconsularia)، التي شملت الأراضي الواقعة من خليج سرت الكبير شرقاً إلى الحدود الغربية لإفريقيا الجديدة التي اقتطعها يوليوس قيصر من مملكة نوميديا سابقاً (O)، وأسند الحكم في هذه المقاطعة للبروقنصل (Proconsule)، وخوله الإمبراطور بالمهام المدنية والعسكرية في المقاطعة، حيث أستمر البروقنصل قائماً بهذه المهام طيلة فترة حكم الإمبراطور أغسطس وتيبيروس (Tiberius) (O).

ورغم أن الوضع السياسي في لبدّة فيما يتعلق بالعلاقة مع روما حتى نهاية الثلث الأول من القرن الأول الميلادي غير واضح (O)، لكن يظهر أنها منحت حقوق المدن الحرة (Libertas) (حوالي عام 12ق.م)، وسمح لها بنوع من الحكم الذاتي، تتصرف بشكل مستقل على الأقل في المستوى المحلي، وفي القضايا المدنية حيثما لا يكون الرومان طرفاً في الخصام، كما سكت المدينة عملة فضية خاصة بها خلال النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، وهي عبارة عن دوينات من الفضة، وهو كما يشير اكصيل: ((أمر فريد من نوعه لأن جميع النقود البلدية الإفريقية من البرونز، ولاشك أن هذا العمل استثنائي وقصير الأمد)) (O)، واستمرت في ذلك أثناء حكم أغسطس وتيبيروس؛ كما استمر العمل بالمناصب القضائية البونية والكهنوت المحلية طوال القرن الأول قبل الميلاد (O)، حتى أن النقوش اللاتينية في هذه الفترة كانت تشير إلى لبدّة على أنها مدينة، ولم تذكرها بأنها مستعمرة (O)، وحتى هذه الفترة لم يتم إجبار السكان على التنازل عن أرضهم لمستوطنين من روما، فقد تمتعت لبدّة بواقع مفضل في الولاية الإفريقية في وقت مبكر، واستفادت من مسالمة أهالي القبائل المجاورة؛ حيث كانت روما تمنح بعض المدن الإفريقية نوع من الحكم الذاتي، ولو أنّ ذلك كان مرحلة اقتضتها سياسة مجلس الشيوخ الروماني تمهيداً لوضع اليد على المنطقة كلها. وتولي كاليغولا (Caligula) (O) الحكم قام في عام (39م) بتحويل السلطة العسكرية لحاكم عسكري برتبة لقاتوس (Legatus) يُعين من الإمبراطور مباشرة، وبحلول عام (77م) (O) رُفعت مدينة لبدّة إلى مرتبة بلدية (Municipium) (O)، مع حقوق لاتينية بمنح المواطنة الرومانية لنبلائها، ثم حصلت في عام (109م) على مكانة أعلى وهي مركز المستعمرة أو المستلحقة (O) (كولونا) (O).

تميز القرن الثاني الميلادي بفترة سلام وازدهار شامل في مدينة لبدّة، وظهرت شواهد على الاستثمار الكبير من قبل النخبة في المباني العامة والمرافق الترفيهية، وتبع انتشار السلم بين المجموعات القبلية في المنطقة دخول مساحات واسعة من الأراضي الهامشية فيما قبل الصحراء المجال الزراعي بواسطة السكان المحليين، وبحلول أواسط القرن الثاني الميلادي كانت لبدّة من أغنى وأكثر المدن استثنائية في أفريقيا، وقد تُرجم هذا الغنى إلى قوة سياسية ذاتية عبر الدخول في مجلس الشيوخ الروماني ومراتب الفروسية التي أحرزها بعض زعماء المدينة (O)؛ وعندما وصل سبتيموس سيفيروس (Septimius Severus) (O) إلى حكم الإمبراطورية الرومانية، أولى مدينة لبدّة التي كانت مسقط رأسه عناية كبيرة، حتى بلغت ازدهاراً واتساعاً كبيرين، فقد عمل على تنظيم الإدارة، وأهتم بالزراعة والتجارة، وأنشأ العديد من المباني، ووسع الأسواق، وُمنحت المدينة حقوقاً دستورية إضافية في ملكية الأراضي التابعة لها، مثل الحقوق الإيطالية في الأراضي (O)؛ كما عمد إلى مد النفوذ الروماني الفعلي والتوغل في المناطق الداخلية الواقعة جنوب المدن الساحلية. فقد بدأت تتكون لدى الرومان فكرة وضع نظام دائم من الوسائل الدفاعية على طول حدودهم بسبب تهديدات

القبائل وتزايد وتيرة إثارتها للقلق ضد المدن والقرى الخاضعة للسيطرة الرومانية، الأمر الذي جعل مدن الإقليم في الشمال تحتاج إلى غطاء إستراتيجي من ناحية الجنوب، وكانت أولى خطوات تلك الإستراتيجية قطع الطريق على تلك القبائل وقواعدها الخلفية، أو التدمير السريع لأقوى القبائل الصحراوية الموجودة آنذاك؛ كما أن الرومان أدركوا بعد وصولهم إلى حافة الصحراء الشمالية، أن الظروف التضاريسية للصحراء تختلف عن نظيرتها بالشمال، وأنهم أمام واقع يحتم عليهم ضرورة إيجاد السبل الكفيلة لتعويض الحواجز الطبيعية (وذلك بتغيير نظام الدفاع عن مدن الإقليم بإنشاء ما يعرف بمصطلح التخوم الطرابلسية (الليمس الطرابلسي أو التريبوليتاني Limes Tripolitanus)، وهو امتداد لنظيره النوميدي والموريتاني الممتد من المحيط الأطلسي إلى خليج سرت الكبير شرقاً، موازياً لامتداد الجبال .

وأساس هذا النظام الجديد من الدفاع يستند بالدرجة الأولى على سلسلة من الحصون والقلاع وخلفها من الداخل مجموعات من المزارع المحصنة (Limitanei)، وروعي في إنشاء هذه الحصون أن يكون كل منها في موقع يسيطر على الطريق الرئيسية بين الدواخل والساحل، وربطوا بينها بشبكة من الطرق المزودة بمراكز للحراسة المستمرة، وربطوا الوديان بالحواجز والسدود، لتثبيت دعائم احتلالهم، والسيطرة على المجال الحيوي على طرق القوافل التجارية، والحد من تحركات القبائل المحلية (التي كانت تنتقل في تلك المناطق، والتخلص من هجماتها، وإحكام السيطرة عليها، واستغلال أراضيها، وفعلاً كان لتلك السياسة تأثيراتها على الواقع السكاني والسياسي للمنطقة، فقد مكنت من تسهيل عملية الاستقرار أو الاحتواء للقبائل المحلية، وهكذا حقق الليمس الحد الفاصل، بين الإمبراطورية الرومانية ومناطق القبائل في الجنوب، بنظام طرق وحصون منتشرة عبر امتدادات كبيرة، مكوناً حاجزاً بين الرومان وبين خصومهم من القبائل القاطنة خلف ذلك الخط. ويبدو أن الليمس الطرابلسي مثل أهميته الاقتصادية نافست أغراضه الدفاعية فبالإضافة إلى دوره في توفير الحماية لإقليم المدن الثلاث، فإنه كان موجهاً لمراقبة طرق القوافل التجارية نحو فزان وبلاد الجرامنت (O).

وفي عام (212م) أصدر الإمبراطور كاركلا (Caracalla) (O) مرسوم يمنح حق المواطنة لجميع أحرار الإمبراطورية، أي أن جميع السكان الأحرار لهم نفس الواجبات والحقوق التي يتمتع بها المواطن الروماني، وقد ضمت المدن المرومنة هيئات تشرف على تسيير المدينة، أهمها مجلس البلدية (Ordo Dicurionum) والشيوخ، فالمجلس البلدي كان يشرف على مختلف النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المجال الجغرافي الذي تشرف عليه المدينة؛ كما كان يُعد ميزانية المصاريف الخارجية بتلك النشاطات، في حين يتشكل مجلس الشيوخ من ممثلي الشعب، وقراراته نافذة (O).

وبعد اغتيال الإسكندر سويروس في عام (235م)، حلت الفوضى والاضطرابات من جراء النزاع والحروب بين المدعين بالعرش الروماني دامت زهاء الخمسين عاماً، إلى أن تولى زمام الإمبراطورية دقلديانوس (Daqaladyanus) (O)، حيث عمل على وقف انهيار الإمبراطورية؛ وفيما بين عامي (363-366م) هاجمت قبيلة الاسترياني مدينة لبدّة والحقوا بها أضراراً بالغة، حتى ساءت أحوالها وأخذت في الضعف حتى طمع فيها الوندال، الذين احتلوها في عام (455م)، لكنهم لم يعتنوا بها وتركوها للفوضى، فهاجمتها القبائل المجاورة، وأهملت أحوال المدينة، وزحفت عليها الرمال، ولم يأت عام (533م) حتى حولت هذه القبائل المدينة إلى خراب، ووقعت تحت سيطرة البيزنطيين في عام (534م) حتى الفتح العربي الإسلامي للمنطقة في عام (643م) (O).

الخاتمة:

كما أشرنا فقد تأسست المدينة على يد الفينيقيين في بادئ الأمر لتكون مرفأً يلجئون إليه وقت الحاجة أثناء رحلاتهم التجارية النشطة في لبحر الأبيض المتوسط قبل أن تصبح من أهم المدن على الشاطئ الغربي لهذا البحر خلال العصرين الفينيقي والروماني؛ ولم يكن اختيار الفينيقيون لموقع مدينة لبد الكبرى بمحض الصدفة؛ بل لما أمتاز به على الطريق التجارية الساحلية الرابطة بين المشرق والمغرب، وقربه من طريق القوافل التجارية الصحراوية المتجهة إلى دواخل الصحراء جنوباً، وهو ما أهله لأن يكون محطة تجارية هامة لهذه القوافل، بالإضافة إلى كونه موقعاً محاطاً بمنطقة زراعية مهمة، تتوفر على المياه العذبة والموارد الزراعية؛ فضلاً عن أنه يتحقق على مرفأ محمي يساعد على رُسو السفن. وقد لعب هذا الموقع المهم للمدينة دوراً كبيراً في التواصل مع الحضارات التي ازدهرت حول هذا البحر المتوسط، مما أثر تأثيراً مباشراً على المدينة في مختلف النواحي، حتى أضحت واحدة من أهم المدن وأبرزها ببلاد المغرب القديم .

وكما أشرنا فإنه ليس ثمة اتفاق بين المؤرخين على تحديد دقيق لتاريخ تأسيس المدينة، إلا الثابت أنها لم تتحول إلى مركز للاستقرار الدائم إلا في القرن الخامس قبل الميلاد.

وقد أطلق الفينيقيون على المدينة أسم لفيقي أو لبيقي، وهو اللفظ الذي تطور عنه اسم المدينة فيما بعد لتصبح باسم لبتييس، مع إضافة صفة الكبرى أو العظمى (ماجنا) للتمييز بينها وبين مدينة لبد الصغرى.

استمرت مدينة لبد الكبرى تحت التبعية الفينيقية حتى سقوط قرطاج؛ حيث دخلت في فلك التبعية الاسمية لملك نوميديا، إلى أن خضعت للسيطرة الرومانية المباشرة في عام (46ق.م)، وصارت جزءاً من ولاية أفريقيا الرومانية، لتدخل المدينة مرحلة جديدة من تاريخها وهي فترة السيطرة الرومانية؛ حيث شهدت المدينة خلالها العديد من التطورات التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وخلاصة القول أنه كان لمدينة ليدة الكبرى كما أشرنا أهميتها التاريخية، والاقتصادية، فقد أعطاهما موقعها أهمية كبيرة، وهكذا فإن التطور التاريخي للمدينة وتواصلها مع عديد الحضارات يطرح وبإلحاح أهمية موقع المدينة وتسميتها، وضرورة إيجاد رؤية واضحة لدراسة تاريخ المدينة، وهي الرؤية التي ينبغي أن تراعي التطور الذي مرت به المدينة، والتركيز على دراسة تاريخها من خلال المصادر الأصلية، للوصول إلى نتائج مرضية. وإذا ما عرفنا أن دراسة تاريخ المدينة يتطلب المزيد من الاهتمام والمتابعة وتبني السياسات التي من شأنها الحفاظ على التراث التاريخي والأثري للمدينة، فقد يكون من المناسب مراعاة بعض التوصيات :-

- 1 – التأكيد على أهمية دراسة النقوش والمخلفات الأثرية بالمدينة، واستثمار الإرث التاريخي للمدينة وتسخيرها لكشف مختلف جوانب الحياة العامة بالمدينة خلال العصر القديم.
- 2 – إتباع رؤية موضوعية وشاملة تتجاوز الأسلوب العاطفي، وتكون شاملة لدراسة المنطقة ككل للوصول إلى نتائج تثري عملية البحث التاريخي.
- 3 – تشجيع الباحثين لإجراء البحوث وعقد الندوات والمؤتمرات التي تتناول هذه الفترة من تاريخ المنطقة، وطرح البدائل لإزالة الغموض حول التاريخ القديم للمدن الليبية القديمة للتقدم إلى الأمام بخطى محسوبة، ووضع الخطط الناجعة للحفاظ على الميراث التاريخي لهذه المدن.

المصادر والمراجع: أولاً/ المصادر:

- 1- Herodotus., The Histories, (Harvard University Press, 1920).
- 2- Levi Della Vida. G., Maria Giulia Amadasi Guzzo. Iscrizioni puniche della Tripolitania (1927-1967). Roma, 1987.
- 3- Pliny's., Natural History, (LCL, London, 1961).
- 4- Potlemyus., Geogr. (C. Müller, Paris, 1883).
- 5- Reynolds. J. M . and Ward-Perkins J. B., The Inscriptions of Roman Tripolitania, Published for the British School at Rome, 1952.
- 6- Sallustius., Bellum Iugurthinum., (Ahlberg, Leipzig, Teubner, 1919).
- 7- Silius Italicus., Punica, (Walter Coventry Summers. John Percival Postgate. London. 1905).
- 8- Solinus., de mirabilibus mundi, (Der Bibliothek der K.K. thesesianischen Akademie, in Wien, Angekauft am 1899).
- 9- Strabon., Geographica., (Meineke, Leipzig: Teubner, 1877).
- 10- Tacitus., Annals, (Charles Dennis Fisher. Clarendon Press. Oxford. 1906).
- 11- Tacitus., Historiae, (Charles Dennis Fisher. Clarendon Press. Oxford. 1911).

- 12- Titus Livius., The History of Rome, (H. J. Müller, Ab urbe condita. Berlin. Weidmannsche Buchhandlung.1883).
- 13- سالوست، الحرب اليوغرطية، تر: محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي- ليبيا، 2007.

ثانياً/ المراجع:

(أ) - المراجع العربية والمعربة:

- 14- أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، (د - ت).
- 15- أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، ج1، دار نشر بوسلامة، تونس، 1959.
- 16- أحمد محمد أنديشه، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة - ليبيا، 1993.
- 17- اصطفيان اكصيل، تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج7، تر: محمد التازي سعود، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007 .
- 18- ب. ه، ورامنجتون، ((العصر القرطاجي))، تاريخ أفريقيا العام، مج2، جين أفريك، باريس، 1985 .
- 19- بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 .
- 20- ج. كامب، البربر الذاكرة والهوية، تر: جاد الله عزوز الطلحي، تقديم: محمد الطاهر الجارري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005.
- 21- د. أ. ل. هينز، آثار طرابلس الغرب، تر: عديلة حسن مياس، مراجعة: نورالدين الشلي، طه باقر، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، د - ت.

- 22- د . ج . ماتينغلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة: محمد الطاهر الجراي، محمد عبدالهادي حيدر، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009.
- 23- الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، منشورات مكتبة النور، طرابلس، 1968.
- 24- طه باقر، لبدة الكبرى، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، 1967.
- 25- عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001 .
- 26- عبدالحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، 2005.
- 27- عبداللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، بيروت، 1970.
- 28- عمار محجوبي، ((العصر الروماني)) ، تاريخ أفريقيا العام، مج2، جين أفريك، باريس، 1985 .
- 29- غابريل كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010.
- 30- فيصل علي أسعد الجربي، الفينيقيون في ليبيا من 1100ق.م حتى القرن الثاني الميلاد، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة - ليبيا، 1996.
- 31- محمد أبوالمحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- 32- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غرب المتوسط، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- 33- محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
- 34- محمد تكيالين، ((التواجد الروماني في الصحراء بين الإستراتيجية الدفاعية والمصالح الاقتصادية))، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، جامعة غرداية، الجزائر، 2011.
- 35- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1965.
- 36- محمد عبدالهادي شعيرة، ((ليبيا الاسم ومدلولاته التاريخية))، مجلة كلية الآداب والتربية، مج1، الجامعة الليبية، بنغازي - ليبيا، 1958 .
- 37- محمد علي عيسى، ((الليبيون القدماء من خلال المصادر الأثرية والتاريخية القديمة))، مجلة تراث الشعب، تصدر عن اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة، ع1، س2، طرابلس، 2000.
- 38- محمد مصطفى بازامة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، منشورات مكتبة قورينا، بنغازي - ليبيا، 1975.
- 39- محمود الصديق أبو حامد، ((مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس))، المؤتمر التاريخي: ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي- ليبيا 1968.
- 40- محمود الصديق أبو حامد، ((نبذة عن تاريخ مدينة لبدة))، مجلة المؤرخ العربي، تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع3، 1977.
- 41- هنري. س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، منشورات جروس برس،

طرابلس- لبنان، 1991.

(ب)- المراجع الأجنبية:

- 42- Anthony. R. Birley., *Septimius Severus: The African Emperor*, 3rd edition, London, 1999.
- 43- Aurigemma, S., «L'avo Paterno una zia ed altri congiunti dell' imperatore Severo», *Quaderni di Archeologia della Libya*, 1, 1950.
- 44- Bénabou. M., *La Résistance Africaine à La Romanisation*, Paris, 1976.
- 45- Cintas. P., « Fouilles Punique a Tipasa », *Revue Africaine*, XCII, 1949.
- 46- Di Vita. A., «Gli Emporia di Tripolitania dall'età di Massinissa a Diocleziano: un profilo storico-istituzionale», in *Aufstieg und Niedergang der römischen Welt*, II.10.2. Berlin, 1982.
- 47- Euzennat Maurice., «La frontière romaine d'Afrique», in: *Comptes Rendus des séances de l'année - Académie des inscriptions et belles lettres*, 134e année, N. 2, 1990.
- 48- <http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009>.

- 49- <https://www.Delcampe.net>.
- 50- Jean Gag e., les Classes Sociales dans L'empire Romain,  d. payot, paris, 1964.
- 51- Jean-Paul., Rey-Coquais, «Une double d dicace de Lepcis Magna   Tyr», Africa Romana., Atti del IV convegno di studio, Sassari, (12-14/12/1986) , 1987.
- 52- John Boardman, Jasper Griffin, Oswyn Murray., The Oxford History of the Classical World, 1993.
- 53- Josephine Crawley Quinn., « the reinvention of Lepcis », International Congress of Classical Archaeology Meetings Between Cultures in the Ancient Mediterranean, Volume Speciale, Direzione Generale Per Le Antichit , Roma, 2008.
- 54- Merighi. A., La Tripolitania Antica, Vol. 1, Airoidi A. Editore, Verbenia, 1940.
- 55- Ren  Rebuffat., «Un Banquier   Lebcis Magna», AR. Atti del III Convegno di Studio, Sassari, 13-15 dicembre, (1985).
- 56- Romanelli, P., Lepcis Magna, Roma, 1925.
- 57- Romanelli. P., Storia della Province Dell'Africa Romana, 1959.